الفصل الأول

المماليك الجلبان ودورهم في الأوضاع الداخلية للدولة المملوكية

(678- 922 هـ/1279- 1516م)

الفصل الأول

المماليك الجلبان ودورهم في الأوضاع الداخلية للدولة المملوكية

(678- 922هـ/1279-1516م)

أولاً: أصل المماليك

المماليك مفردها مملوك وتعني العبد المولى، وهم جماعة عسكرية ترجع أصولهم إلى الأتراك أو المغول أو الجراكسة [1] وغيرهم من الأجناس الأخرى [2]، وكانوا يجلبون من البلاد الروسية والقفقاسية [3]، أو يقدمون في بعض الأحيان كهدايا وهبات أو بدلاً عن ضريبة أو جزية يدفعها حكام الولايات أو القادة العسكريون [4]، وفضّل شراء الرقيق الأبيض على الرقيق الأسود في أواخر العصر العباسي [5].

---

(1) الجراكسة: من الشعوب الآرية الهندو أوربية التي تقطن في بلاد القوقاز حتى يومنا هذا وتسمى بلادهم ببلاد الجركس، ويتكونون من أربعة طوائف هي (سركس و اركس و الاص و كسا) وتتفرع منهم بطون كثيرة، ينظر: احمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية (مطبعة الاوفست، بيروت: د.ت.): ج2/ص241؛ العيني، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد الشيخ المحمودي، تحقيق: محمد شلتوت وآخرون (دار الكتاب العربي، القاهرة: 1967 م)، ص26. أما عن موطنهم الأصلي فهم يسكنون في الجزء الشمالي الغربي من بلاد القوقاز.
Bertold Spule, The Muslim World (No. p. , Leiden: 1960): Vol. 11/p. 77
وصلوا إلى مصر عن طريق الشراء والوقوع في الأسر أثناء والحروب من قبل السلاطين المماليك البحرية الأولى ومن ثم استطاعوا ان يؤسسوا دولة بقيادة السلطان برقوق والتي استمر حكمها مدة تزيد عن 138 سنة فقد كان عدد سلاطين الدولة 23 سلطاناً. للمزيد ينظر عبد الرحمن محمد بن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت: 1979 م): ج5/ص472؛ احمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا (دار الكتب العلمية، بيروت: 1987 م): ج4/ص472؛ ينظر: يوسف عزت، تاريخ القوقاز، تعريب: عبد الحميد غالب (مطبعة عيسى البابي، استانبول: 1912م)، ص69.

(2) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب (دار صادر، بيروت: 1994م): ج2/ص493؛ محيي الدين بن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كامل (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة: 1961م)، ص 60-61؛ موسى بن محمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان (مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد: 1961م): ج1/ص92.

(3) ابن منظور، لسان العرب: ج1 /ص493؛ لويس رحماني، مختصر تاريخ القرون الوسطى (دير الآباء الدومينيكيين، الموصل: 1877م)، ص 22.

(4) محمد مصطفى زيادة، تاريخ الحضارة المصرية (د.ت.، القاهرة: د/ت)، ص 481.

(5) احمد عطية الله، القاموس الإسلامي (دار النهضة العربية، القاهرة: 1968م): ج 2/ص557؛ عبد العزيز محمود عبد الدايم، مصر في عصري المماليك والعثمانيين(د.م.، القاهرة: 1996م)، ص 113.

بعد ضعف الدولة العباسية وإنقسامها إلى دويلات عديدة سعى بعضها إلى الإكثار من شراء المماليك، وتجنيدهم ضمن جيشها لتقويتها، وضمان حماية حدودها من الأخطار الخارجية، كما فعلت الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، ولاسيما في عهد آخر ملوكها الصالح نجم الدين أيوب(637-647هـ/1240-1249م) [1]، الذي لم يكتف بشراء المماليك الأتراك بل أسس حوله جماعة من المماليك البحرية في مصر[2] حتى ضاقت القاهرة بهم، وبدءوا بإيذاء الناس ونهب البضائع من الأسواق، فقرر الملك الصالح نجم الدين عزلهم في أماكن خاصة وبنا لهم قلعة على جزيرة في وسط النيل لإسكانهم فيها، وأطلق عليهم اسم المماليك البحرية، وخصص لهم الرواتب[3] ونتيجة للضعف الذي أحاط بالدولة الأيوبية بسبب الأخطار الخارجية من ناحية، كالهجمات الصليبية على مصر والغزو المغولي لبلاد الشام، وسوء الأوضاع الداخلية من ناحية أخرى، ظهر المماليك كقوة طارئة للدفاع عن أراضي المسلمين ومقدساتهم، فنجحوا في إقامة دولتهم على أنقاض الدولة الأيوبية في سنة 648هـ/1250م، بعد مرحلة انتقالية بدأت من عهد تورانشاه (647- 648هـ/1249-1250م)، ولاسيما أنهم أدوا دوراً كبيراً في ردع الصليبيين والتصدي للمغول في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م [4].

ثانياً: بدايات ظهور المماليك الجلبان

اخذ السلاطين المماليك منذ بداية دولتهم يكثرون من شراء المماليك الأجلاب الصغار السن، ويشرفون على تربيتهم تربية عسكرية إسلامية ، ويجعلونهم ضمن ما يسمى بالمماليك السلطانية [5]، وبعد استقرار الدولة المملوكية اخذوا يكثرون من شراء المماليك

(1) مناهل فخر الدين فليح، التعليم في ظل المماليك، بحث منشور في مجلة آداب الرافدين (الموصل: 1979م) ع10 / ص 383.

(2) إحسان عباس، تاريخ بلاد الشام في عصر المماليك (مطبعة الجامعة الأردنية ،عمان:1998م)، ص31.

(3) عمر موسى باشا، تاريخ الأدب العربي في العصر المملوكي (د.م.، بيروت: 1989م)، ص 16-17.

(4) رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد (دار النهضة العربية، بيروت: 1983م): مج1/ص313؛ محمد بن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، تحقيق: نبيلة عبد المنعم وفيصل السامر (دار الحرية، بغداد: 1991م):ج2/ص227 – 228؛

D. Lang , Armenia Cradle Of Civilization (No. p. , London: 1970) , p. 207 ; A. K.Sanjian ,The Armenian Communities In Syria Under Ottoman Dominion (Harvard University Press , Cambridge: 1965),p.15;

(5) أنطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري، ط2 (الدار الحديثة، بيروت: 1982م)، ص 33-34.

الجلبان الكبار السن وضمهم إلى المماليك السلطانية مما شكّل لهم الكثير من المتاعب فيما بعد [1]، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل ضمن صفحات الفصل الآتية:

ينقسم المماليك السلطانية إلى ثلاث فرق حسب قربها من السلطان الأولى الخاصكية التي ينتقي السلطان أفرادها، ويشكل منهم حرساً ملازماً له دائماً في مجالسه وخلوته، ويكونوا على أهبة الاستعداد للدفاع عن السلطان، والفرقة الثانية: القرانيص وهم مماليك السلاطين القدامى الذين توفوا أو قتلوا وتعد هذه الفرقة من اشد فرق المماليك السلطانية خطورة وقوة، لأنهم كانوا يمثلون القوة الحقيقية للسلطان الجديد عند توليه المنصب، أما الفرقة الثالثة فتعرف بالسيفية وهي تضم مماليك الأمراء الذين توفوا أو قتلوا أو خلعوا من الإمارة سواء بسبب تآمرهم أو لعدم كفاءتهم، أما المماليك الأجلاب فهم رقيق يقوم السلاطين المماليك بشرائهم وهم صغار السن ويربونهم تربية إسلامية، ويخضعون لنظام عسكري صارم ودقيق يتعلمون من خلاله أساليب الفروسية [2]، فيكون ولاؤهم للسلطان فقط بعد عتقهم وهم على العكس من فرقة المماليك الجلبان التي ضعف ولاءها للسلطان [3].

يتكون المماليك الجلبان من أجناس مختلفة من الوافدين أو المستأمنة، وهم من الرقيق البالغين الذين دخلوا إلى أراضي الدولة المملوكية أما سراً، فيضطر السلطان للموافقة على دخولهم بعد ذلك، أو دخلوا بشكل رسمي عن طريق استدعاء السلطان لهم، وفي كلتا الحالتين فهم يدخلون ضمن المماليك السلطانية [4] ازداد عددهم بشكل كبير بعد تثبيت أركان الدولة المملوكية، كما إنهم لم ينالوا تدريباً محكماً في الفروسية باستثناء فرقة الأويراتية [5]، لذا فقد كانوا اقل خبرة من المماليك الأجلاب الذين نشأوا كتابية [6] في القلعة [7].

---

(1) ضومط، الدولة المملوكية، ص 33-34؛ الباز العريني، المماليك (دار النهضة العربية، د.م.، 1967م)، ص117.

(2) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية،" بعض مظاهر الحياة اليومية في مصر في عصر سلاطين المماليك " (د.م.، بيروت: 1995م): ج3/ص289 عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 38.

(3) ضومط، الدولة المملوكية، ص 34.

(4) العريني، المماليك، ص117.

(5) الأويراتية: سمو بالأويراتية نسبة إلى لفظ أويرات وهو اسم جنس يطلق على عدة قبائل مغولية سكنت الجزء الأعلى من نهر ينسى بأواسط آسيا. بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين (مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: 1989م): ج3/ص304.

(6) أي تدريسهم على الكتاب والسنة.

(7) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 38.

بعد البحث والتمحيص في الروايات التاريخية لوحظ أن بعض المؤرخين المحدثين[1] يخلط بين المماليك الجلبان والأجلاب، ولا يميز بين اللفظين، وهذا ما قد يوقع القارئ في لبس كبير لذا فيجب الانتباه لهذه المسألة، ووفق ما تم إيضاحه في الفقرات السابقة.

ثالثاً: المماليك الجلبان في العصر المملوكي الاول

ترجع بدايات وجود المماليك الجلبان في مصر إلى العصر المملوكي الأول إلى عهد السلطان العادل كتبغا (694-696هـ/ 1294-1296م) [2]، ففي سنة 695هـ/1295م نزحت جماعة مغولية عرفت بالأويراتية إلى بلاد الشام، اثر تولي غازان خانية مغول بلاد فارس في سنة 695هـ/1295م، مما شكل تهديداً لها، فاستقدم السلطان كبار أمراء هذه الفرقة، وجعل الأمير طرغاي على إمرة طبلخانة [3]، وقرب من تبقى منهم وجعلهم من أجناد الحلقة[4] واقطعهم الإقطاعات، وخصص لهم الرواتب [5].

أسرف السلطان العادل كتبغا في إكرام أفراد الأويراتية، وقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، بل ساواهم بالمسلمين، على الرغم من ديانتهم المغولية الوثنية المخالفة لديانة الدولة الرسمية، فضلا عن سوء أخلاقهم وتعاملهم مع الناس، مما أدى إلى حنق العامة

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك (دار النهضة العربية، القاهرة: 1992م)، ص25-27؛ قاسم عبده قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك (عين للدراسات والبحوث والإنسانية، القاهرة: 2007م)، ص 298.

(2) المقريزي، الخطط: ج 2/ص435؛ ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام العصور، ص 291؛ حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية (الدار القومية، القاهرة: 1966م)، ص 18، قاسم، في تاريخ الأيوبيين، ص 269.

(3) الطبلخانة: مرتبة حربية من مراتب أرباب السيوف في العصر المملوكي، يتولى صاحبها منصب أمير مائة، ويعادل درجة مقدم ألف، وسمي بأمير طبلخانة لأحقيته في دق الطبول على أبوابه كما يفعل السلاطين، ويطلق عليه أمير أربعين لوجود أربعين مملوكاً في خدمته، وقد يزيد هذا العدد إلى سبعين أو ثمانين. للمزيد من التفاصيل ينظر: عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط2(دار النهضة، القاهرة : 1976م)، ص414.

(4) أجناد الحلقة: وحدة من الجند وهي جزء من المماليك السلطانية لكن منزلتها بدأت تتدهور بعد سنة 715هـ/1315م بسبب إعادة توزيع الاقطاعات من جديد ففقد جند الحلقة ربع حصصهم، كما أن قسم منهم اخذ بالتنازل عن إقطاعاته مقابل تعويضات ورواتب. بنظر: عباس، تاريخ بلاد الشام، ص39.

(5) المقريزي، الخطط: ج2/ ص435-436؛ احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة (دار الكتب العلمية، بيروت: 2004م): ج1/ص187-188؛ عاشور، العصر المماليكي، ص111؛ قاسم، في تاريخ الأيوبيين، ص 270-271.

عليهم، ولاسيما أنهم اخذوا يتمادون في ابتزاز الناس مستغلين سوء الأوضاع المعاشية والاقتصادية التي أدت إلى انتشار أزمات الغلاء والأمراض في تلك الحقبة [1]، وعلى الرغم مما تقدم لم يتخذ السلطان أي إجراء للحد من تصرفاتهم بل سعى إلى الإكثار منهم وأسرف في منحهم الأموال وقوى مراكزهم وتعداه إلى مصاهرتهم، لكي يأمن جانبهم ويكسب ولائهم [2]، كما أشار ابن أيبك الدواداري إلى أن السلطان كتبغا كان أويراتى الأصل لذا فقد أسرف في إكرامهم وتقريبهم منه [3].

وفي الحقيقة أن السياسة التي اتبعها السلطان العادل كتبغا تجاه المماليك الجلبان الأويراتية، لم يكن بدافع تقوية الدولة المملوكية او الاستفادة منهم في خدمة الإسلام والمسلمين في بلاده بقدر ما هي خدمة لمصالحه الشخصية، إذ هدف إلى تقوية سلطنته ودعم مركزه امام منافسيه من الأمراء المماليك الآخرين ممن لهم عصبية قوية [4]، ولاسيما وان المماليك من أبناء جنسه كانوا قليلين في الدولة المملوكية مقارنة بأجناس المماليك الأخرى.

على أن السياسة التي اتبعها العادل كتبغا تجاه الأويراتية انقلبت ضده بعد إن كانت لمصلحته، إذ زادت من حقد الأمراء المماليك عليه وعلى مماليكه الذين استقدمهم وقربهم منه على حساب الآخرين، فضلا عن كره العامة للعنصر المغولي، مما كان سبباً في انتهاء سلطنته على يد مجموعة من الأمراء الثائرين الذين دبروا مؤامرة لقتله، وهو في طريق عودته من بلاد الشام في سنة696هـ/1296م، بالقرب من طبرية [5]، الا انه استطاع الفرار

(1) المقريزي، الخطط: ج 2/ص436؛ ج3/ص177؛ عاشور، العصر المماليكي، ص 114.
(2) المقريزي، المصدر نفسه: ج2/ص436.
(3) أبو بكر بن عبد الله ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: هانس روبرت رويمر (المعهد الألماني للآثار، القاهرة: 1960م): ج8/ص361.
(4) كان هناك تنافس على تولي السلطنة بين الأمراء المماليك كالأمير حسام الدين لاجين الذي تولى السلطنة بعد خلع كتبغا، فضلاً عن سعي بعض الأمراء إلى إعادة السلطان المخلوع الناصر محمد بن قلاوون إلى السلطنة. ينظر: عماد الدين إسماعيل المعروف بابي الفدا،المختصر في أخبار البشر (المطبعة الحسينية، القاهرة: 1325هـ): ج4/ص34؛ ضومط، الدولة المملوكية، 36؛ عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص 19.
(5) طبرية: مدينة مطلة على بحيرة طبرية وهي تعد من أعمال الأردن بينها وبين دمشق مسافة ثلاثة ايام. شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2 (دار الفكر، بيروت: 1995م): ج4/ص17-20.

من قبضتهم متجهاً إلى دمشق، فخلع اثر ذلك ونصب بدلاً عنه السلطان لاجين (696-698هـ/ 1296-1298م) على عرش السلطنة وبتأييد ومبايعة الأمراء الثائرين [1].

ومن الطبيعي، ان يسعى السلطان الجديد إلى كسب ود وتأييد الأمراء المماليك الكبار ولاسيما الثائرين والمعارضين للسلطان السابق، وكإرضاء لهم من ناحية وإدراك السلطان لخطر فرقة المماليك الجلبان من الأويراتية من ناحية أخرى، فقد قام السلطان لاجين بضرب الأويراتية،فقتل وسجن ومنح قسماً منهم للأمراء الكبار لاستخدامهم كخدم في المنازل [2].

وعلى الرغم من جميع الإجراءات الاحترازية التي قام بها السلطان لاجين، بقي التنافس بين الأمراء المماليك، الأمر الذي أودى بحياته سنة 698هـ/1298م وتولية الناصر محمد بن قلاوون (698-741هـ/ 1309-1340م) في سلطنته الثانية، إلا أن الصراع بين فرق المماليك لم تنته، وبقيت العناصر المملوكية ومن بينهم الجلبان الأويراتية تتحين الفرص للانقضاض على السلطان لاسترجاع مكانتهم التي أخذت بالتضاؤل بعد اعتماد الناصر على العناصر البرجية من العنصر التركي، لذا فقد سعى هؤلاء للقضاء على البرجية الذين بدأ نفوذهم بالتزايد، متحينين الفرصة المناسبة وهدف الأويراتية من هذه المؤامرة إلقاء القبض على العناصر البرجية وإعادة السلطان المخلوع العادل كتبغا إلى دفة الحكم [3] ، فنصب الأويراتية كميناً لهم لمباغتة قوات السلطان قبل اللقاء مع جيوش المغول في سنة 702هـ/1302م، مما زاد من كره المماليك البرجية لهم، ولم ينسوا ما قام به الجلبان الأويراتية، فالقوا القبض عليهم وشتتوهم في السنة ذاتها [4].

أما في عصر أبناء الناصر محمد بن قلاوون (741-762هـ/ 1340-1360م)، فقد تغيرت الأوضاع الداخلية، إذ امتازت هذه الحقبة بتولي سلاطين ضعاف غير قادرين على إدارة

(1) أبو الفدا، المختصر: ج4/ص34؛ النويري، نهاية الأرب: ج31 /ص195-197؛ عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك(دار النهضة العربية، بيروت: 1970م)، ص 206؛ ضومط، الدولة المملوكية، 36؛ عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص 19.

(2) المقريزي، الخطط: ج2/ص436؛ ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص 293-294.

(3) عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص20.

(4) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه ووضع حواشيه: محمد مصطفى زيادة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1972م): ج1/ق1/ص100؛ النويري، نهاية الأرب: ج31/ص132؛ زين الدين عمر بن مظفر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي (دار الكتب العلمية، بيروت: 1996م): ج1/ص238، 319.

الدولة بسبب صغر سنهم أولا، وعدم امتلاكهم الخبرة الكافية في الأمور السياسية ثانياً، ولاسيما وان الناصر محمد بن قلاوون حاول تثبيت مبدأ وراثة العرش قبيل وفاته سنة 741هـ/ 1340م، فأوصى بالحكم من بعده لولد المنصور (741-742هـ/ 1340-1341م)، إلا أن الأخير لم يمكث في السلطنة أكثر من شهرين نفي بعدها إلى قوص [1]، ثم قتل اثر ذلك [2]، فخلفه أخوه السلطان علاء الدين كجك (742-742هـ/1341-1341م)، الذي لم يبلغ سن الخامسة آنذاك، فخلع لاعتراض نواب الشام على توليته وحل محله اكبر أولاد الناصر محمد ويدعى احمد ولقب بالناصر(742-747هـ/1341-1342م)، غير انه فر من القاهرة إلى الكرك بعد أن استولى على أموال بيت المال، فلم يجد أمراء المماليك الجلبان بداً من تنصيب أخيه الصالح على عرش السلطنة(743-746هـ/1342-1345م)، فأمر بمحاربة أخوه المخلوع وإلقاء القبض عليه وإعادة الأموال[3].

لم يكن عهد الصالح إسماعيل أطول أو أفضل عهود أشقائه، فتولى الحكم بعد وفاته سنة 746هـ/1345م أخيه السلطان الكامل شعبان (746-474هـ/1345-1346م)، فعمت الفوضى الداخلية، وانتشرت ظاهرة القتل والسلب والنهب إلى درجة أن السلطان نفسه أمر بقتل أخويه، مما أدى إلى ثورة أمراء المماليك الجلبان عليه، ولم يكن ذلك غضباً لأخويه، وإنما لما فيه من خدمة لمصالحهم الشخصية، ونجحوا في خلعه وإطلاق سراحهم ونصبوا احدهم في السلطنة ولقبوه بالمظفر حاجي (747-748هـ/ 1346-1347م) إلا انه لم يلبث أن قتل [4].

إن الظروف التي مرت بها دولة المماليك البحرية أدت دوراً فعالاً في انتقال السلطنة من أبناء الناصر محمد بن قلاوون إلى أحفاده، لتصبح الكلمة الأولى والأخيرة للأمراء الكبار، الذين نصبوا الاشرف شعبان (764- 781هـ/1362-1378م) على عرش السلطنة، وفي ظل

(1) قوص: مدينة كبيرة واسعة تقع في صعيد مصر، وتعد محطة تجارية للتجار القادمين من عدن وبينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ج4/ص413.
(2) جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (مطابع كوستاتسوماتس، القاهرة: د. ت.): ج10/ص11؛ النويري، نهاية الأرب: ج31/ص241.
(3) ابن تغري بردي، المصدر نفسه: ج10/ص71؛ عاشور العصر المماليكي، ص 127.
(4) ضومط، دولة المملوكية، ص 52.

هذا الوضع أصبحت الرئاسة الحقيقية لاتابك العسكر [1] الأمير يلبغا الخاصكي [2]، ولم يكن للاشرف من السلطنة سوى اسمها فقط، ولاسيما وان يلبغا ارتقى في المناصب، وأصبح عدد كبير من مماليكه الجلبان نواب البلاد ومقدمي الالوف، واستكثر من الجلبان الذين بلغ عددهم ثلاثة الاف مملوك فبالغ في الإحسان إليهم وإكرامهم حتى صاروا يلبسون الطرز الذهبية العريضة، التي إذا ما وقعت الشمس عليها تكاد من شدة اللمعان أن تخطف البصر[3].

وفي بداية عصر أحفاد الناصر محمد بن قلاوون بدأ عصر جديد كثرت فيه ثورات المماليك الجلبان بسبب استضعافهم للسلاطين الذين تولى معظمهم الحكم دون ان يبلغ سن الرشد، مما جعلهم ألعوبة في أيدي الجلبان[4]، فكثيراً ما عصى هؤلاء أوامر السلاطين وخالفوهم ونفذوا ما كانوا يصبون إليه من اجل تحقيق مكاسب مادية أو تثبيت مراكزهم في مفاصل الحكم على الرغم من عدم موافقة السلطان مستغلين ضعفهم أو غيابهم خارج مركز الدولة، كما حدث في اعتدائهم على خيمة السلطان الاشرف شعبان الذي قُتِل في سنة هـ/1378م، وهو في طريق عودته من الحج إلى القاهرة، فنهبوا الأموال السلطانية الموجودة في موكبه، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل اعتدوا على نساء السلطان المقتول[5].

بعد مقتل السلطان الاشرف شعبان اعتلى عرش السلطنة ولده علي (780-784هـ/ 1378-1382م) وما أن تولى مقاليد الحكم حتى أمر الأمير طشتمر مقدم العسكر أن يقاتل المماليك الجلبان الذين كانوا وراء مقتل والده، والقضاء على تمردهم، إلا أن الجلبان تمكنوا من إلحاق الهزيمة برجال الأمير طشتمر الذي وقع شخصياً في أسرهم، واستمر تمردهم

(1) اتابك العسكر: أصبح هو الأول بعد إلغاء منصب نائب السلطنة، وقد جرت العادة في الدولة المملوكية وخاصة الجركسية، أن يخلف السلطان، وهو قائد الجيش والمشرف على المماليك السلطانية، ويدعى أحياناً اتابك الجيش أو الجيوش ويختصر لقبه إلى الاتابكي. ينظر: عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 43.

(2) يلبغا الخاصكي: هو احد أمراء المماليك الأتراك الذين تمتعوا بنفوذ كبير في عهد السلطان حسن حفيد الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة 759هـ/ 1373م واستمر في منصب مقدم العساكر حتى مقتله سنة 768هـ/ 1382م. ينظر: عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص 31، 33.

(3) عبد الحي بن احمد بن محمد العكري الحنبلي شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط (دار بن كثير، دمشق: 1406هـ): ج6/ص212؛ شهاب الدين أبي الفضل احمد بن علي بن محمد العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعين خان، ط2 (حيدر آباد، الدكن: 1972م): ج6/ص208؛ المقريزي، السلوك: ج4/ص267-268؛ الخطط: ج3/ص179.

(4) ضومط، دولة المملوكية، ص 52.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج11/ص80؛ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، تاريخ عجائب الآثار (د.م.، بيروت: د.ت.): ج1/ص36.

وكثر أتباعه، مما اضطر السلطان إلى مفاوضتهم، ووافق على تنفيذ مطلبهم بسجن الأمير طشتمر في القلعة وتنصيب مملوكين من الجلبان احدهما على رأس نوبة النوبة [1]، والثاني أميراً للسلاح [2]، وترفيع احد المماليك الجلبان وهو الأمير طشتمر اللفاف من إمرة عشرة إلى امرة ألف وجعله اتابكاً للعسكر [3]، واستمرت هذه الأوضاع تتجه نحو الأسوء وكانت سبباً في انهيار الدولة المملوكية الأولى وقيام الدولة المملوكية الثانية.

رابعاً: المماليك الجلبان في العصر المملوكي الثاني

عندما قامت دولة المماليك الثانية أو ما تسمى بدولة المماليك الجراكسة في سنة 784هـ/1382م على يد السلطان الظاهر برقوق[4] (784-801هـ/1382-1388م) ازداد عدد المماليك الجلبان عما كانوا عليه في عصر الدولة المملوكية الأولى، فكانت مهمة جلب عائلة السلطان برقوق وأبناء عمومته من أولوياته التي لم يتخلَّ عنها، إذ بذل لتجار الرقيق أموالاً كثيرة لإحضار والده وأقاربه من بلاد الجركس إلى مصر، وجعل تاجره الخاص عثمان بن مسافر على رأس هذه المهمة وخصه بالكثير من العطايا، فتمكن من جمعهم وأحضر عدداً كبيراً من أقارب السلطان إلى القاهرة، فخرج السلطان برقوق والأمراء لاستقبالهم واحتفل بقدومهم في شهر ذي الحجة سنة 782هـ/1379م فقربهم منه وضمهم إلى الحاشية السلطانية، ومنح والده إمرة ألف وأجلسه إلى جانبه في صدر المجلس، فضلاً عن توليته لبقية الأمراء من أبناء عمومته في مناصب مهمة [5]، كما استقدم السلطان برقوق أعداداً كبيرة من

(1) النوبة: أو رأس نوبة النوبة مسئول عن المماليك السلطانية وعن سلوكهم، وينفذون أوامر السلطان أو أوامر الأمراء المتعلقة بهم، ويتولى صاحب هذا المنصب عرض العسكر قبل خروجه في الحملات العسكرية. ينظر: ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام والعصور، ص 41؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 44.

(2) أمير سلاح مهمته حمل أسلحة السلطان في المحافل العامة، وهو المسئول عن السلحدارية ويكون ضمن فئة أمراء الألوف. ينظر: عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 43.

(3) المقريزي السلوك: ج3 /ق1 / ص 285-286؛ الخطط: ج3/ص179.

(4) برقوق: المؤسس الحقيقي لدولة المماليك الجراكسة للمزيد من التفاصيل عن حياته السياسية ينظر: المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة: 1957م)، ص142؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (دار مكتبة الحياة، بيروت: د.ت.): ج3/ص10 – 11.

(5) احمد بن علي بن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بابناء العمر، تحقيق: حسن حبشي (دار التحرير للطباعة والنشر،القاهرة: 1969): ج1/ص148؛ ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة: ج1/ص254؛عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص54.

الجلبان الجراكسة من أبناء جنسه [1]، ومن أشهر أعلام الجلبان الجراكسة الذين استقدمهم السلطان برقوق في سنة 779هـ/ 1377م، وكان لهم الدور الكبير في الحياة السياسية من خلال توليهم منصب السلطنة السلطان الصالح ططر(شعبان- ذي الحجة824 هـ/1421م)، والسلطان الاشرف برسباي الدقماقي(825-841هـ/1422-1438م) والسلطان الظاهر جقمق العلائي(842-857هـ/1438-1453م) [2].

وعلى ما يبدو أن تركيز السلطان برقوق على جلب أقاربه من بلادهم الأصلية بشكل خاص، وأبناء جنسه من العنصر الجركسي بشكل عام، لم يكن بدافع جمعهم أو تحسين أحوالهم المعاشية التي يعانون منها في بلادهم، وإنما من اجل تقوية عصبيته في الدولة الجديدة التي صبغها بالطابع الجركسي، سائرا على نفس السياسة التي انتهجها كتبغا من قبل، ولاسيما وإنها قامت على أنقاض دولة ذات أصول تركية من ناحية، فضلاً عن التفوق العددي للأتراك مقارنة بالأجناس الأخرى، وبقائهم متنفذين فيها من ناحية أخرى.

أما في بداية عهد السلطان الناصر فرج بن برقوق (801-815هـ / 1398-1412م) فقد انقسم الجلبان الظاهرية إلى قسمين الأول إلى جانبه، والثاني ضده حيث كان يسعى إلى سلطنة الاتابك ايتمش البجاسي في سنة 802هـ/1399م فتجمع أمراؤهم وكان على رأسهم بيبرس الدوادار[3] ابن عم السلطان والأمير يشبك الشعباني الخازندار والأمير شيخ المحمودي وغيرهم واشتبك معهم السلطان الناصر فرج في القتال ونجح في إلحاق الهزيمة بالاتابك ايتمش البجاسي ومؤيديه من المماليك الجلبان، فاضطر الاتابك ايتمش ومن بقي معه إلى الفرار نحو بلاد الشام، بعد أن نهبوا ما في طريقهم من الخيول السلطانية، فأرسل السلطان خلفهم بعض الأمراء فقضوا عليهم واستردوا ما سلبوه [4].

(1) محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التبر المسبوك في الذيل على السلوك (مطبعة الاوفست، بولاق:1896م)، ص 269، 307؛ عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص 54.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج12/ص199.

(3) الدوادار: مهمته تبليغ الرسائل عن السلطان، وإبلاغ عامة الامور والمشاورة على من يحضر إلى الباب، كما يقدم كل من تأخذ عليه العلامة السلطانية من المناشير والتواقيع والكتب، فكان يتولاها تارة من أمراء العشروات وتارة من أمراء الألوف، وفي عهد السلطان الاشرف شعبان جعل متوليها اكبر أمراء الألوف وزادت سلطاته في نهاية الدولة المملوكية الثانية منها تقرير أي جند الحلقة يخرج في الحملات العسكرية فضلا عن جمع الضرائب. ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى: ج4/ص19؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 45-46.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج12/ص187-188.

كما تنكر الجلبان الظاهرية للسلطان الناصر فرج مرة أخرى في السنة ذاتها، ونسوا فضل أبيه عليهم، فخططوا للقيام بثورة لخلعه من السلطنة اثناء توجهه من القاهرة إلى دمشق لقتال الأمير شيخ المحمودي سنة 802هـ/1399م، ويرجع سبب استياء الجلبان بشكل عام والجلبان الظاهرية بشكل خاص من السلطان الناصر فرج إلى تفضيله المماليك الأجلاب عليهم، فانسحب قسم منهم وانضموا إلى صفوف قوات الأمير شيخ المحمودي، وعلى الرغم مما قدمه الناصر فرج للمماليك الأجلاب، إلا أنهم كالجلبان لم يرغبوا في انتصار السلطان خشية من تفرغه لطرف ما والقضاء عليه إذا ما حقق النصر على الطرف الآخر [1]، ولاسيما أن الأجلاب قاموا بنهب وسلب أسواق دمشق وفتكوا بالأهالي، مما شكل موجة غضب عارمة ضد السلطان من قبل أهالي دمشق [2].

لم تتوقف ثورات المماليك الجلبان بل استمرت بشكل متتالٍ إذ أنهم لم يرضوا عن أي سلطان يتولى الحكم، فقد ثاروا في سنة 824هـ/1421م في عهد السلطان المؤيد شيخ المحمودي (815-824هـ/1412-1421م)، وامتنعوا عن قبض رواتبهم التي قلت عما كانت عليه في عهد السلطان برقوق، فاشترطوا أن تصرف على ما كانت عليه في تلك الحقبة، وسعى السلطان إلى التفاوض معهم، إلا أن المفاوضات معهم لم تجدِ نفعاً، لأنهم وحدوا موقفهم واتفقوا على عدم التراجع عما طلبوه، فخشي السلطان والأمراء بل وحتى العامة من حدوث فتنه كبيرة، وعندما تفاقم الأمر اضطر السلطان المؤيد إلى أن يوافق على طلبهم وصرف رواتبهم [3].

وعندما توفي السلطان شيخ في سنة 824هـ/1421م وتولى السلطنة ولده المظفر احمد (824هـ/1421) استمر الحال على ما هو عليه من سوء تصرفات الجلبان، فكانت سبباً مباشراً في خلعه بعد عدة أشهر من توليه الحكم، ليعتلي عرش السلطنة بدلاً عنه الظاهر سيف الدين أبي الفتح ططر في شعبان من السنة ذاتها، إلا انه لم يكن أكثر حظاً من السلطان المظفر احمد إذ خلع بعد أربعة وتسعين يوماً من توليه، فأُجلس على كرسي العرش ولده واصل الصالح محمد بن ططر لمدة أربعة وأربعين يوماً [4]، فآل العرش إلى السلطان

(1) المقريزي، السلوك: ج1 / ق1 / ص 100، 105.
(2) المصدر نفسه: ج4 / ق1 / ص 95.
(3) المصدر نفسه: ج4 / ق1 / ص480؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص80.
(4) عادل محمد دوينغ، الحياة العلمية في بلاد الشام في عصر المماليك الجراكسة، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب (جامعة الموصل: 2003م)، ص331.

الاشرف برسباي ليقبض على أمور الحكم بيد من حديد، وبرغم ذلك بقي المماليك الجلبان في تغطرسهم مما زاد من استياء العامة، ولم يقتصر الأمر على العامة فقط بل اخذوا بالاعتداء على موظفي الدولة وأمرائها ونهب منازلهم، وزادت شكاوى الأمراء منهم، وحثوا السلطان الاشرف برسباي على ردعهم، إلا انه عجز عن ذلك وأجابهم ((قد عجزت عن إصلاحهم ثم كشف رأسه ودعا عليهم بالفناء والموت غير مرة))، فأشار عليه الأمير جارقطلو في سنة 832هـ/م باستخدام القوة وأعمال السيف فيهم واستبدالهم بمماليك غيرهم[1].

وأشار المقريزي [2] في أحداث السنة ذاتها إلى أن المماليك الجلبان تمكنوا من دخول بيت الأمير زين الدين عبد القادر الأستادار ونهبوا ما فيه، إذ كان غائباً عنه، وآذوا العامة في طريقهم، ثم مضوا في طريقهم إلى بيت ناظر الديوان ثم إلى بيت الوزير، فأدركهم زعيم المماليك، فطلب منهم التخلي عن هذه الأعمال، فأطاعوه ولم يدخلوا بيت الوزير، وأكد أن السبب في ذلك هو تأخر رواتبهم، فلما اشتكوا إلى السلطان قال لهم ((امضوا إلى المباشرين)) أي إلى أصحاب الخزانة.

نجح الأمير جارقطلو في إقناع السلطان لولا معارضة بعض الأمراء الآخرين، الذين حذروا السلطان من مغبة مثل هذا الفعل، ولكن معرفة الجلبان بما يدبره لهم الأمير جارقطلو زاد من غضبهم عليه واخذوا يتحينون الفرصة للإيقاع به، فاجمعوا على السير إلى بيته فحاصروه فيه مع مماليكه، فخشي الناس من أعمال السلب والنهب، لانتشار أهل الفساد في طرقات القاهرة، فاقبل الناس على شراء الخبز تحوطاً، فأرسل السلطان اليهم يطلب منهم الكف عن ذلك، الا انهم لم يذعنوا لطلبه، وأصروا على قتل الأمير جارقطلو، فأرسل إليهم مرة أخرى، ولم ينصاعوا فأرسل السلطان إلى الأمير جارقطلو يطلب منه أسماء رؤوس هذه الفتنة ومن بدأ بها، فأرسل إليه بأسمائهم، فقبض عليهم السلطان وضربهم وأمر بسجنهم، فضلاً عن إدراك الجلبان لعجزهم عن قتل الأمير جارقطلو لعدم اجتماع كلمتهم ولفرار أكثرهم، ولعدم وجود سلاح في أيديهم، فاضطر بقية الجلبان للرضوخ للصلح، فأخمدت الفتنة [3].

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج14/ص327.
(2) السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا (بيروت: 1997م): ج7/ص186.
(3) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص333.

كما اصطدم الجلبان مع العبيد السودان في سنة 834هـ/1431م واجتمع حول كل منهم عصبيته، فأصبحوا فريقين وقتل عدد من كل منهم، ومن ثم توقف القتال بينهما لتدخل السلطان الذي أمر الجلبان بعدم التعرض للعبيد، فأمرهم بان لا يحملوا عصا وسلاحا وسيفا،وان لا يخرجوا بعد المغرب [1].

كما ثار مماليك السلطان في سنة 838هـ/1435م وطالبوا بالقبض على المباشرين بسبب تأخر رواتبهم في ديوان المفرد أو ما يسمى بالأستادارية [2]، فنزلوا متجهين إلى بيت القاضي زين الدين عبد الباسط ناظر الجيش ونهبوا داره، ثم نهبوا بيت الوزير أمين الدين إبراهيم بن الهيعم، كما هاجموا بيت الوزير كريم الدين لحقدهم عليه منذ فتنة الأمير جارقطلو، إلا انه أحس بالمؤامرة، فأخلى داره من الأشياء الثمينة، فلم يظفروا به ولا بشيء من داره، فعادوا بعد أن افسدوا ونهبوا دور جيرانه، مما سبب غضب السلطان، فاخذ بالدعاء عليهم بالفناء والوباء عليهم، وكانت النتيجة أن طلب كريم الدين الإعفاء من منصبه، فوافق السلطان على طلبه وعين بديلاً عنه [3].

مرض السلطان برسباي في سنة 841هـ/1437م فحضر إلى جانبه في فناء القلعة الأمير خشقدم اليشبكي مقدم المماليك السلطانية ومعه الجلبان والقرانيص من مماليك السلطان،فضلا عن الخليفة العباسي المعتضد بالله أبو الفتح داود (816-844هـ/1413-1430م) والقضاة والأمير الكبير جقمق العلائي، وبدأ السلطان كلامه عن ولاية العهد لولد يوسف،وأمضى الخليفة العهد وشهد بذلك القضاة وجعل الأمير جقمق أتابكاً له، كما التفت السلطان إلى الأمير خشقدم بكلمة أراد من خلالها إسماع المماليك الجلبان، وهو يعتب عليهم بما كانوا يفعلونه، إلا انه عفا عنهم، وأوصاهم بطاعة ولده وعدم مناصبة العداء لأي من الأمراء، وان لا يختلفوا فيدخل الأجنبي بينهم فيهلكوا، ثم أمر بثلاثين ديناراً لكل واحد منهم،

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج14/ص330.

(2) ديوان المفرد أو الأستادارية: يرأس الأستادار ديوان المفرد أو ما يسمى بديوان الأستادارية، ومهمته توزيع الرواتب والعليق(علف الحيوانات)، كما كان يقوم بتوزيع الكسوة على المماليك السلطانية في مناسبات قليلة، وله نائب يسمى ناظر ديوان المفرد، وهو من المناصب المهمة ولكنه محفوف بالمخاطر حيث كان الأستادار يمثل كبش الفداء لثورات المماليك وتمرداتهم. ينظر: عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 45،80.

(3) المقريزي، السلوك: ج7/ص278.

ففرحوا بذلك ودعوا له بالعافية والسلامة، ولاسيما وإنها صرفت لهم جميعاً في ذات الليلة وبلغ مجموعها مائة وعشرون ألف دينار [1].

إن هذا الإجراء من قبل السلطان لم يكن إلا كسباً لرضا المماليك الجلبان وتأييدهم لولده إذا ما تولى السلطنة من بعده كي لا يناصبوه العداء، ولا يقوموا بتأييد أي مؤامرة يقوم بها أي من الأمراء الآخرين لخلعه، وهو الخبير بهذا الأمور وما يجري لوريث السلطان بعد وفاته.

وقد قام المماليك الجلبان في سنة 843هـ/1429م بمهاجمة القاضي عز الدين عبد الباسط عند نزوله من القلعة، فهرب منهم ودخل إليها مرة أخرى، فنجا من قبضتهم، فاخذ يطلب الإعفاء من الأستادارية، إلا إن الأمير الكبير جقمق نجح في إقناعه بالبقاء في منصبه[2]، كما أغار الجلبان في سنة 845هـ/1431م على دار الأمير تنم بن عبد الرزاق المؤيدي أمير المجلس [3] الذي شكاهم إلى السلطان الظاهر جقمق الذي أمر بحبس عشرة من أمرائهم في القلعة، فتعرضوا في اليوم الثاني لموكب الاتابك أينال العلائي ومعه الأمير تنم الذي أَنَبَهُ الجلبان على شكواه إلى السلطان وحاولوا قتله، إلا أن الاتابك أينال تدارك الموقف فهدأهم ووعدهم بإطلاق سراح الأمراء المسجونين، فتوقفوا عن فعلهم هذا، إلا أنهم لم يلبثوا ان هاجموا الأمراء الآخرين كالأمير زين الدين يحيى الأستادار في سنة 850هـ/1436م وأوسعوه ضرباً لكنه نجا منهم باعجوبة [4]، فتوجهوا بعد ذلك إلى القلعة لانتظار الأمير أبي الخير النحاس [5]، إلا انه لم يخرج من القلعة، فتوجهوا إلى داره واصطدموا مع مماليكه ونهبوا ما فيها، فضلا عن نهب الدور المجاورة، واحرقوا ما تبقى منها، وأغلقت الأسواق أبوابها خشية من أعمال السلب والنهب[6].

وفي اليوم الثاني توجه الجلبان إلى القلعة مصممين على الفتك بالأمير أبي الخير، وعزل الأمير جوهر النوروزي مقدم المماليك وزين الدين عن منصب الأستادارية، وعندما

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج15/ص104.
(2) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 337.
(3) أمير مجلس: هو من يتحدث بشؤون الأطباء والكحالين، وكان هذا المنصب في البداية ارفع من منصب أمير سلاح ثم أصبح دونه في عهد الجراكسة. ينظر: عباس، المرجع نفسه، ص 43.
(4) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 349.
(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج15/ص410.
(6) ابن تغري بردي، المصدر نفسه: ج15/ص411.

حل المساء ونزل بعض الأعيان من القلعة خلسة إلى دورهم أحاط بهم الجلبان وأمروهم بالعودة إلى السلطان وإبلاغه بمطالبهم، فعادوا إلى السلطان واخبروه بذلك [1]، وكان الأمير تنم قد اعتصم بالقلعة وقرر أن لا يبرحها إلا بعد أن يتم أطلاق سراح مماليكه السجناء خشية من بطش الجلبان، وتم فعلا إطلاق سراحهم، كما تكلم مع السلطان في الرضا عن الجلبان، إلا أن السلطان رفض ذلك وأصر على إرسال عائلته إلى بلاد الشام والتنحي عن السلطنة، فنهاه الأمير تنم وحذره من عاقبة ذلك، ووصل به الأمر أن شق ثوبه من الغيظ والغضب عليهم، ونصحه بعض الأمراء بتطييب خاطر الجلبان بعزل الأمير جوهر وإخراج النحاس من القاهرة إلى مكة، فتوجه الأمير تمربغا إلى الجلبان وابلغهم الخبر فرضوا بذلك وهدأت ثائرتهم [2]، وفي ذات اليوم وبعد الظهيرة توجه جماعة من الجلبان إلى الأمير اسنبغا الطياري رأس نوبة النوبة، وطلبوا منه أن يذهب إلى السلطان ويكلمه في أمر تنفيد وعوده، فعندما اخبره الأمير اسنبغا بتنفيذ مطاليب الجلبان غضب السلطان واصدر مرسوماً بإبقاء الأمير جوهر مقدم المماليك والنحاس في مناصبهم، ودعا الأمراء الآخرين ليستعدوا لقتال الجلبان، ونصب عدة مدافع على القلعة للدفاع عنها، بعد أن صمم على قتالهم، وعندما أدرك الجلبان عزم السلطان على قتالهم أرسلوا إليه مع احد الخاصكية يطلبون منه أن يسمح لهم بالحضور بين يديه، فوافق السلطان على طلبهم،وعندما حضروا قبلوا الأرض وطلبوا العفو عنهم فأعفاهم، وأمرهم بالتوجه إلى طباقهم[3]، ولم يتكلم منهم احد [4]، وبذلك يكون السلطان قد قضى على فتنتهم، من خلال اتباع سياسة فرق تسد التي اتبعها معهم وشتت كلمتهم، فضلاً عن إدراكهم التام بعدم مقدرتهم على مواجهة السلطان وجنوده.

لم يتغير موقف الجلبان تجاه الأمراء ولم يكفوا عن مهاجمة منازلهم، ففي سنة 859هـ/1454م وفي عهد السلطان الاشرف أينال (857-865هـ/1453-1461م) هاجم الجلبان دار الأمير ناصر الدين محمد بن أبي الفرج الأستادار، ونهبوا جميع ما فيها دون أدنى سبب،

(1) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص 349-350.
(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج15/ص412.
(3) الطباق:مكان سكن المماليك السلطانية ويقصد بها طوابق القلعة وعددها أثنى عشر طابقاً كل منها قدر حارة يشتمل على عدة مساكن ويتسع كل طباق لألف مملوك. ينظر: عباس، تاريخ بلاد الشام،ص26.
(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج15/ص413.

فاضطر الأستادار إلى طلب الإعفاء من منصبه، فأعفاه السلطان أينال وعين بديلاً عنه [1]، كما بدأ المماليك الجلبان في عهد الاشرف أينال بإشعال الحرائق في أسواق القاهرة، من اجل القيام بأعمال السلب والنهب في الأسواق ودور العامة، واستمرت هذه الأعمال عدة أشهر تضرر خلالها الناس كثيراً في بيوتهم وأموالهم، وفي سنة 865هـ/1461م وأثناء مرض السلطان خشي الناس من تكرار ما كان يقوم به الجلبان في السنوات الماضية من أعمال تضر بمصالحهم، فطلبوا من السلطان أن ينهاهم عنها، ولكن مرض السلطان كان سبباً في إهمال طلبهم [2]، في الحقيقة لم يهمل السلطان طلبهم لولا مرضه، ولاسيما وانه كان مستاء من الجلبان، لكن واقع الحال والمرض الذي ألم به شغله في أمور شخصية ذات أهمية من اجل ضمان انتقال منصب السلطنة إلى ولده احمد ، لذا فقد سعى مضطراً إلى استرضاء الجلبان وعدم إثارتهم، ليكسب بذلك تأييدهم الكامل لولده من بعده.

بقي تمرد الجلبان وتصرفاتهم البغيضة طيلة عهد السلطان الاشرف أينال الذي أكثر من شرائهم، إذ ثاروا أكثر من سبع مرات، هددت السلطان نفسه بالخلع [3]، واعتدوا على الناس كثيراً ونهبوا أموالهم، مستغلين طيبة السلطان وحسن خلقه، مما أدى إلى اضطراب البلاد سياسياً واقتصادياً وطرد الكثير من المماليك من أجناد الحلقة بسبب إفلاس الخزينة، فضلا عن سجن الخليفة في الإسكندرية، وكان السلطان أينال غير قادر على إيقاف الأمراء الذين نشروا الفوضى ونهبوا البلاد، وسلبوا القصور وهاجموا كبار الأمراء، ودب الخوف في قلب السلطان من مماليكه الخاصة لانعدام الثقة فيهم، فانزوى السلطان في قصره، كما هجرت الأسواق لقلة التجارة، وأصبح الجلبان من القوة ما مكنهم من التحكم في عزل الموظفين وتغييرهم دون علم السلطان [4].

وعلى الرغم من شكوى الناس منهم استمرت اعتداءاتهم على العامة وولاسيما النساء، ولم يكن السلطان قادراً على منعهم من إلحاق الأذى بالنساء في أيام الأعياد والمناسبات، فاضطر إلى ان يمنع القاهريات الجميلات من التمتع بالخروج في تلك المناسبات القليلة [5]، ومما زاد من غضبهم وتمرداتهم بشكل أكثر خطورة من ذي قبل، قيام

(1) المصدر نفسه: ج16/ص84.
(2) المصدر نفسه: ج16/ص123-124.
(3) عاشور، العصر المماليكي، ص 181.
(4) مفيد كاصد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي (د.م.، الأردن: 2003م)، ص 117.
(5) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص350.

السلطان أينال بتنصيب ولده اتابكاً للعسكر بدلاً منه، مخالفاً بذلك القواعد التقليدية للمماليك، لذا فقد جوبه بالرفض من قبل كبار الأمراء، فاضطر السلطان وتحت هذا الضغط إلى إلغاء هذا الأمر وعين الأمير تنبك البردكي بدلا من ولده، وبذلك امتاز عصر السلطان أينال الذي فشل في إدارة الدولة لكثرة ما واجهه من مشاكل سياسية واقتصادية، فعمد في نهاية حكمه إلى خلع نفسه وتنصيب ولده احمد بدلا عنه في السلطنة سنة 865هـ/1461م، إلا أن حكمه لم يدم أكثر من خمسة وخمسين يوماً، تنحى بعدها عن السلطنة بسبب تمرد المماليك الجلبان الظاهرية عليه، فضلا عن عدم طاعة مماليكه له عندما استدعاهم لمواجهة خطر الجلبان [1].

ترجع أسباب عدم طاعة الجلبان للسلطان أينال إلى خشيتهم من القبض عليهم والإيقاع بهم من ناحية، وإلى رفضه المستمر لطلباتهم التي كانت تصب في مصالحهم الشخصية وعلى حساب السلطان أولا والعامة من الناس ثانية من ناحية أخرى.

تقلد السلطان الظاهر خشقدم (865-872هـ/1461-1467م) [2] أمور الحكم في سلطنة المماليك، وكان أول خروج للجلبان عليه في سنة 865هـ/ 1461م طالبين ملابس من الصوف معدة لأغراض السفر والصيد، وأساءوا التصرف كثيراً أثناء هذا التمرد، إذ قاموا بالكثير من أعمال السلب والنهب [3]، وعلى الرغم مما حدث في بداية عهده، إلا انه بسط الأمن والسلام في جميع أنحاء سلطنته، وذلك بفضل مهارته في إيجاد نوع من التوازن بين القوى والفئات المتصارعة من خلال ضربها مع بعضها البعض مما أضعفها جميعاً، ففرح الناس بسلطنته لظنهم بأنه سيقطع دابر المماليك الجلبان [4]، إلا أن الأوضاع تغيرت في النصف الثاني من عهده، إذ ازدادت سطوة الجلبان، وأصبحت أيديهم مطلقة في أحداث الفظائع والقسوة والفساد والاستيلاء على أموال الناس، وبيعت المناصب الإدارية، وكان العدل منتهك بسبب الفساد المالي، حيث أصبح المال أساس الإدارة في نهاية عصر السلطان الظاهر خشقدم، وكان هذا اشد خطراً على كيان الدولة، إذ أصبحت المناصب تباع وتشترى بالرشوة، وهذا يعني إسناد المناصب إلى أناس ليسوا أهلا لها بل إلى من كان قادراً على

(1) الزيدي، موسوعة التاريخ، ص 117-118.
(2) عن حياة السلطان خشقدم ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب: ج7/ص305.
(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج16/ص261.
(4) ابن تغري بردي، مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز (دار الكتب المصرية، القاهرة: 1997م): ج2/ص174.

دفع مبالغ أكثر [1]، ولم يكتفوا بذلك بل كثرت طلباتهم من السلطان ذاته، وقاموا ببعض التمردات بسبب عدم تلبيتها[2]، واستمر هذا الحال حتى وفاته، وكان لقلة المماليك من أبناء جنسه في الدولة المملوكية اثر كبير في إضعاف حكمه في أيامه الأخيرة، فلم يتمكن من ردع الفرق المملوكية الأخرى،، ولاسيما انه من أصل رومي[3].

في الحقيقة اختلف السلطان الظاهر خشقدم عن غيره من السلاطين المماليك الآخرين، فهو حسب ما أشارت الروايات التاريخية لم يكن يكثر من شراء واستقدام المماليك من أبناء جنسه، لكي يقوي مركزه كما فعل غيره، فقد اعتمد على من كان موجودا منهم سابقاً، ومما يدلل على ذلك قلة شيعته من الروم، فضلا عن سعيه المستمر للتخلص من بعض فرق الجلبان من الطوائف الأخرى من خلال ضرب بعضهم بعضاً.

لم يكن عهد السلطان الظاهر يلباي (872-872هـ/ 1267-1267م) أفضل من عهد سابقه، إذ استمر تمرد الجلبان وإساءاتهم للعامة،مما شكل غضب وحقد العامة عليهم[4]،وعندما تولى السلطنة تمربغا (872-872هـ/1267-1267م) استمرت تهديدات الجلبان للعامة، بشكل عام وللسلطان بشكل خاص فوصل الأمر بهم إلى عزل السلطان بعد سبعة وخمسين يوماً، وتولية الأمير خير بك سلطاناً بديلاً عنه في ذات السنة [5].

اما في سلطنة الاشرف قايتباي (873-901هـ/1468-1496م) فقد ازداد جمع الضرائب والاموال للانفاق على الحروب الخارجية، فضلا عن انتشار وباء الطاعون الذي قتل فيه الكثير من الناس، وماتت فيه زوجه السلطان وابنته [6]، وترتب عليه قحط شديد وغلاء في الأسعار، مما دمر الجانب الاقتصادي للدولة، فزادت رواتب الجلبان من ثمانية الاف درهم في عهد السلطان برسباي إلى ستة وأربعين ألف درهم في عهد قايتباي [7] ،

(1) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص92.
(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج16/ص291.
(3) الزيدي، موسوعة التاريخ ، ص 121.
(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج16/ص363.
(5)المصدر نفسه: ج16/ص388.
(6) مجير الدين الحنبلي العليمي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة (مكتبة دنديس، عمان:1999م): ج2/ص299.
(7) قاسم، في تاريخ الأيوبيين، ص 299.

وعلى الرغم من ذلك لم يراع الجلبان خطورة الموقف الذي تمر به البلاد، فقاموا بتمرد في سنة 877هـ/1472م لقتل الأمير علي بأي الخاصكي احد أمراء الجلبان [1] أثناء عودته من المهمة التي أرسله فيها السلطان قايتباي إلى بلاد الشام للقضاء على إحدى التمردات التي نشبت في نيابة القدس، ومما زاد الطين بلة ما شاع آنذاك بان هذه المؤامرة حيكت باتفاق بين السلطان والأمير يشبك العلائي نائب غزة، وازدادت حدة هذا التمرد ولم تهدأ حتى قدم لهم السلطان اعتذاراً نفى فيه علاقته بهذه الحادثة وانه لم يأمر بقتل الأمير علي باي [2]، وفي العام التالي أراد المماليك قتل الأمير يشبك الدوادار، فأمر السلطان جيشه بالاستعداد لقتال الجلبان، مما ولد حالة من الفزع والفوضى أغلقت الأسواق على أثرها [3].

تحرك المماليك الجلبان في سنة 883هـ/1478م فأثاروا فتنة كبيرة بالقلعة مما أغضب السلطان عليهم، فضرب الخنجر والترس من يده على الأرض، فلما رأى الجلبان موقف السلطان وغضبه حاولوا تهدئة الموقف، وذلك لعدم قدرتهم على الوقوف بوجهه، كما أثار الجلبان المشاكل في سنة 896هـ/1490م من اجل الحصول على نفقة من السلطان [4].

استمرت الخلافات والنزاعات بين أمراء طوائف المماليك المختلفة وعلى رأسهم الأمير قانصوة والبردي اللذين سعيا إلى السيطرة على إدارة شؤون الدولة، ونجح الأمير قانصوة في انتزاع البيعة من السلطان ومنحها لولده محمد بن قايتباي (901-904هـ/1496-1498م)، الذي اشتهر بأمور اللهو والترف وشرب الخمور واغتصاب الأموال من العامة، ففقد احترام الناس وحبهم له، ففكر في الهرب إلا انه مُنِعَ من قبل المماليك الجلبان، فانقض عليه طومان باي صاحب المالية فقتلة في سنة 904هـ/1498م، وبويع بعده الأمير قانصوة الاشرفي بالسلطنة (904-905هـ/1498-1500م)، إلا أن خيوط المؤامرة كانت تحاك من حوله من قبل الأمير طومان باي لخلعه، فاضطر السلطان إلى الهرب [5]، ولكي يخفي طومان باي مطامعه في العرش، فقد رشح وبايع جنبلاط بالسلطنة (905-906هـ/1500-1501م) ولقب بالملك الاشرف، إلا أن المؤامرات والتنافس على منصب السلطنة أدت إلى خلعه، وتنصيب طومان باي سلطاناً في سنة 906هـ/1501م، تحت اسم العادل طومان باي

(1) المرجع نفسه، ص 289.
(2) العليمي، الأنس الجليل: ج2/ص299.
(3) قاسم، في تاريخ الأيوبيين، ص 299.
(4) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص357،361.
(5) الزيدي، موسوعة التاريخ، ص 127-128.

ولكن سياسته التي اعتمدها امتازت بالظلم على العكس من اسمه، اذ اعتمد القسوة تجاه فرق المماليك وأمرائها والعامة مما زاد من كرههم له، فلقي مصرعه بعد ثلاثة أشهر، وبقيت البلاد تعمها الفوضى[1] التي ازدادت في نهاية العصر المملوكي حتى عزف الأمراء عن تولي منصب السلطنة، الذي أصبح غالباً ما يؤدي بهم إلى القتل أو السجن، فعندما تولى السلطان الاشرف قانصوة الغوري (906-922هـ/1501-1516م) بويع بالسلطنة رغم عدم رغبته فيها خشية أن يتعرض للقتل أو السجن، وتحت ذريعة معالجة الأوضاع السياسية والاقتصادية المتردية في البلاد، اتخذ عدة إجراءات منها انه أمر بجمع خراج عشرة أشهر مقدماً، وفرض الضرائب الكمركية على التجار، كما تلاعب بالعملة لتستفيد الدولة من الفارق على حساب الشعب الذي أخذت حالته تزداد سوءاً يوماً بعد يوم بسبب هذه الإجراءات، وبدلاً من الإنفاق لإصلاح البلاد اخذ الغوري بالإنفاق مماليكه الذين أكثر من إعدادهم عن طريق الشراء، من اجل إرضائهم وإبعادهم عن إجراء الاضطرابات والفوضى كما حدث في سنة 907هـ/1501م[2]، مما أدى إلى تمرد بعض المماليك الأجلاب الذين نقموا عليه بسبب سياسته الداعمة للمماليك الجلبان.

والواقع أن عجز السلاطين والأمراء عن منع المماليك الجلبان من الاعتداء على الأسواق والناس جعل المصريين يعتمدون على أنفسهم في التصدي لأولئك المماليك، وقد الحق الناس كثيراً من الضرر والأذى بالجلبان، ومما يدل على ذلك إصدار أمر سلطاني نودي به في القاهرة في سنة 921هـ/1515م بعدم تعرض الناس لمماليك السلطان، ومن يفعل ذلك يعاقب بقطع يده، مما أدى إلى ازدياد سوء الأوضاع السياسية الداخلية، مما انعكس على الوضع الأمني، وكان سببا في ترديه في العصر المموكي الثاني [3]، وهذا ما كان له دور كبير في معركة مرج دابق سنة 922هـ/1516م حيث تراخى المماليك الأجلاب، واتضح موقفهم في هذه المعركة امام العثمانيين، عندما تراجعوا عن القتال بعد أن أصبح النصر وشيكاً لهم، وذلك بسبب الدعاية التي بثها الأمير خاير بك بين صفوف الأجلاب، بان السلطان يقدم الأجلاب في القتال كي يبقى محافظاً على مماليكه الجلبان ويضمن سلامتهم[4].

(1) المرجع نفسه، ص 130.
(2) عباس، تاريخ بلاد الشام، ص365.
(3) قاسم، في تاريخ الأيوبيين، ص 300.
(4) عاشور، العصر المماليكي، ص 185-186، 192؛ قاسم، في تاريخ الأيوبيين، ص 300.

خامساً: المماليك الجلبان وأثرهم في الحياة السياسية والاقتصادية المملوكية

كان لزيادة أعداد الجلبان الاثر السلبي الواضح على الحياة السياسية والاقتصادية في الدولة المملوكية بشكل عام وفي مصر بشكل خاص، وكانت هناك عوامل ساعدت على ازدياد موجات الجلبان إلى مصر ولاسيما في العصر المملوكي الثاني، منها ما هو سياسي وتمثل بانهيار خانية مغول القبيلة الذهبية [1]، ومنها ما هو اقتصادي تمثل بانتشار الطاعون الذي أودى بحياة الكثير من سكانها، مما اثر سلباً على الجانب الاقتصادي بسبب قلة اضمحلال التجارة معها، فضلاً عن ظهور الخطر التيموري الذي داهمها [2]، ومزق قوتها العسكرية، لما مارسه من قتل وسلب ونهب بين السكان، فكانت هذه العوامل سبباً في انتشار الفوضى على الصعيد الداخلي، بسبب التنافس بين أمرائها من اجل المكاسب الشخصية[3].

بقي المماليك الجلبان الذين وفدوا إلى القاهرة على نفس العادات والتقاليد التي نشأوا وترعرعوا عليها في بلادهم الأصلية، إذ أنهم جلبوا كبار السن على العكس من المماليك الأجلاب، لذا فقد كان إحساسهم بالولاء اضعف مما هو عند الأجلاب الذين يربون في حجور أسيادهم، فضلا عن قلة مهاراتهم العسكرية في القتال والقدرة على التحمل مقارنة بالعنصر التركي من جانب آخر [4]، كما قام السلاطين الجراكسة بتقريبهم منهم وضمهم إلى فرق المماليك السلطانية من اجل خدمة مصالحهم الشخصية، لكي يثبتوا سلطتنهم، ويقووا سيطرتهم ويديروا الدولة بيد من حديد [5]، مما أسهم في زرع بذور التفرقة العنصرية بين الجيش المملوكي، مما اضعف روح الولاء والترابط بينهم من ناحية، وأشاع حالة من

(1) القبيلة الذهبية: ، قامت ايلخانية القبيلة الذهبية المغولية في جنوب روسيا وكانت مناطق نفوذها تجاور مملكة جورجيا في بلاد القوقاز والتي تفصل بينها وبين خانية المغول في بلاد فارس. ينظر: فتحي سالم حميدي اللهيبي، مملكة جورجيا دراسة في العلاقات السياسية، أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب (جامعة الموصل: 2005م)، ص 180، 191.

(2) الغزو التيموري: يرجع التيموريون في أصولهم إلى التتار الذين تجدد خطرهم بظهور شخصية قيادية جديدة تقودهم في غزوهم لمنطقة الشرق، وتمثلت هذه الشخصية بتيمورلنك الذي اقترن اسمه بجميع العمليات العسكرية بل وتعداه إلى انتساب قومه إليه. ينظر: المقريزي، السلوك: ج3/ ق2/ص542، 552 - 554؛ عبد السيد، قيام دولة المماليك، ص121؛ اللهيبي، مملكة جورجيا، ص196.

(3) ضومط، الدولة المملوكية، ص 34.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى: ج1/ص462؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص333.

(5) ضومط، الدولة المملوكية، ص 38.

الاقتتال المستمر من ناحية أخرى، فأسهم ذلك في ضعف اداء الجيش وقلة المهارة العسكرية بين صفوفه بسبب التناحر، الذي دب بين الأمراء المماليك [1].

إن ابرز ما يدلل على ذلك عدم قدرة المماليك الجلبان على الانضباط سلوكياً، فضلاً عن عدم تنفيذ أوامر الأمراء المنتمين إلى قيادتهم، على الرغم من تسليحهم المستمر من قبل السلاطين والأمراء مقارنة بفرق المماليك الاخرى التي امتازت بالمهارة العسكرية والانصياع للسلاطين والأمراء، فكان للسلوك السيئ الذي اشتهر به الجلبان من فجور وعدم الشعور بالمسؤولية تجاه الدولة أثره السلبي على المجتمع المصري آنذاك سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

تولى المماليك الجلبان مناصب عليا في الدولة المملوكية الثانية وبدعم من سلاطينها الذين قربوهم منهم لأسباب مباشرة وغير مباشرة معتقدين أنها تصب في مصالحهم، ولاسيما أن معظمهم قد اعتلوا عرش السلطنة عن طريق الانقلاب على السلطان القديم وقتله، مما يؤدي إلى ضياع مماليكه الذين يتمتعون بخبرة عسكرية فيسعى إلى التخلص منهم من خلال إرسالهم إلى الحروب الخارجية، والإكثار من المماليك الجلبان الجدد في الوقت ذاته [2].

إن ما اشتهر به الجلبان عن غيرهم من الفرق المملوكية، كحبهم للسلب والنهب واستغلال الآخرين لمصالحهم الشخصية، فضلا عن سعيهم لإثارة الفتن والاضطرابات،واعتدائهم على الناس كثيراً لتأصل العادات القديمة في نفوسهم، مما سبب حالة من الغضب والحقد عليهم، إذ اعتدوا على الأعراض دون أن يتصدى لهم سلطان أو أمير وذلك خشية من انقلابهم عليه فضلا عن أن إسلامهم لم يكن إسلاما تاماً من حيث الالتزام بالتعاليم الدينية، ولهذا لم يشكل الدين رادعاً لهم عن مثل هذه الأعمال، فضلا عن أن بعضهم لم يدن بالديانة الإسلامية أساسا كالأويراتية[3].

لم تقتصر هذه الممارسات السيئة على العامة بل تعدته إلى أبناء الطبقة المثقفة من الفقهاء والعلماء من جورهم وظلمهم، اذ الزموهم في سنة 859هـ/1454م بعدم ركوب الخيل

(1) موسوعة الحضارة العربية الإسلامية " بعض مظاهر الحياة اليومية ":ج3/ص289.
(2) ضومط، الدولة المملوكية، ص 38.
(3) المقريزي، الخطط: ج2/ص22؛ ضومط، المرجع نفسه، ص 36.

يستثنى منهم الأعيان ومباشرو الدولة، اما البقية المتبقية فقد ابتاعوا البغال وركبوها حتى تزايد بسبب ذلك سعر البغال إلى أضعاف ما كان عليه [1].

لم يقتصر الأمر على عامة الشعب بل تعداه إلى الصراع فيما بين المماليك الجلبان أنفسهم من خلال ممارسة عمليات التصفية فيما بينهم، كما كان للسلاطين والأمراء دور كبير في انتهاج الجلبان لمثل هذا السلوك، ولاسيما أنهم أسرفوا كثيراً وعاشوا حياة ترف وبذخ بعيدة عن تعاليم الإسلام كالقتل والفجور وشرب الخمور وسلب الأموال بغير حق، كما فعل السلطان محمد بن قايتباي وغيره [2]، فكان أمراً طبيعياً ان يتبع الجلبان نهجهم نفسه، كما أن عدم ثبات مبدأ وراثة العرش في الدولة المملوكية، كان له الدور الكبير في كثرة التمردات والانقلابات التي قام بها الجلبان، والتي أدت إلى اضطرابات داخلية، بسبب تولي سلاطين صغار السن بعد وفاة آبائهم، فعلى الرغم من دعمهم من قبل الجلبان، فان ذلك لم يكن بهدف تطبيق مبدأ الوراثة، وإنما من اجل استغلال هؤلاء السلاطين الصغار الذين لا يمتلكون حنكة سياسية أو قدرة على إدارة الدولة وضبط أمورها، فيتمكنوا من تحقيق مكاسب مالية، فضلاً عن الهيمنة على المناصب العليا في الدولة، لذا فقد ازدادت هذه الصراعات بين كبار الأمراء من اجل تولي منصب الاتابك، ومن ثَمَّ يصبح الاتابك هو المتصرف الحقيقي في أمور الحكم ومن ثم خلع السلطان أو قتله وتشريد الأمراء الجلبان المؤيدين له على يد الاتابك الذي يجد في نفسه انه الأحق في ملك السلطان الراحل او المخلوع، وانه القادر على إدارة الدولة فلا مبرر أن يخضع لابنه من بعده، فيتم القبض عليه وقتله أو خلعه حسب ما يقتضيه الظرف السائد آنذاك [3] فيعمل على زج فرقة جديدة من المماليك الجلبان لدعمه، واستمر الحال على ذلك وكان سبباً في انهيار الدولة المملوكية، وقيام الدولة العثمانية على يد السلطان سليم الأول في سنة 922هـ/1516م.

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ج15/ص 418، 423.
(2) الزيدي، موسوعة التاريخ، ص 127.
(3) عاشور، العصر المماليكي، ص 103، 159؛ عباس، تاريخ بلاد الشام، ص27-28.